معنى قوله تعالى:

فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ

عند المفسرين

د. أحمد محمدي إبراهيم العصروسي

شبكة الألوكة
www.alukah.net

معنى قوله تعالى: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ عند المفسرين.

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه أجمعين.

اختلف المفسِّرون في تحديد معنى الحياة الطيبة في قوله عز وجل: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[١]، **إلى أحد معنيين**:

المعنى الأول: أنها في الدنيا: وذهب إلى ذلك الإمام مُقاتل[٢]، والطبري[٣]، ومكي بن أبي طالب[٤]، والزمخشري[٥]، وابن عطية[٦]، والفخر الرازي[٧]، وأبو حيان[٨]، والشنقيطي[٩].

وتنوَّعت أقوالهم بعد ذلك في تحديد كيفيتها بين: القناعة، أو الرزق الحلال، أو السعادة، أو التوفيق للطاعة والخيرات، أو الكفاية والعافية، أو الزوجة الصالحة، أو الرضا بالقضاء، أو حلاوة الطاعة، أو حياة القلب ونعيمه وبهجته، أو طيب الحياة اللازم للصالحين وهو بنشاط نفوسهم ونيلها وقوة رجائهم، وأنهم احتقروا الدنيا فزالت همومها عنهم، فإنْ انضاف إلى هذا مالٌ حلال، وصحةٌ، وقناعةٌ، فذلك كمال الحياة الطيبة، **والحقيقة: أن هذه المعاني كلها يحتملها اللفظ**.

---

(١) سورة النحل: الآية ٩٧.

(٢) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٤٨٦).

(٣) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري (١٧/ ٢٩٢).

(٤) ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية لمكي بن أبي طالب (٦/ ٤٠٨٣).

(٥) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل للزمخشري (٢/ ٦٣٣).

(٦) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية (٣/ ٤١٩).

(٧) ينظر: التفسير الكبير للفخر الرازي (٢٠/ ٢٦٧).

(٨) ينظر: البحر المحيط في التفسير لأبي حيان (٦/ ٥٩٢).

(٩) ينظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشنقيطي (٢/ ٤٤١).

ويشهد لكونها في الدنيا قوله تعالى: (فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا وَحُسۡنَ ثَوَابِ ٱلۡأٓخِرَةِ)(١٠)، وقوله تعالى: (لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٞۚ وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ)(١١)، وقوله تعالى: (وَأَنِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُمَتِّعۡكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى وَيُؤۡتِ كُلَّ ذِي فَضۡلٖ فَضۡلَهُۥۖ)(١٢).

وقد تعرَّض الشيخ الشنقيطي لهذا الوجه بالتَّفصيل، والاستشهاد، والتَّرجيح، في صورة تَجمَع أطراف هذا المعنى، فيقول: "في الآية الكريمة قَرينَة تدلُّ على أنَّ المراد بالحياة الطيبة في الآية حياتُه في الدنيا حياةً طيبةً؛ وتلك القرينة هي أنَّنا لو قَدَّرنا أنّ المراد بالحياة الطيبة، حياته في الجنَّة في قوله: فلنُحيينَّه حياة طيبة، صار قوله: (ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون)، تَكْرَارا معه؛ لأنَّ تلك الحياة الطيبة هي أجُر عملهم، بخلاف ما لو قدَّرنا أنَّها في الحياة الدنيا؛ فإنَّه يصير المعنى: فلنُحيينَّه في الدنيا حياة طيبة، ولنَجزينَّه في الآخرة بأحسن ما كان يعمل، وهو واضح.

وهذا المعنى الذي دلَّ عليه القرآن تؤيدُه السنَّة الثابتة عنه صلى الله عليه وسلم كما جاء في حديث عبد الله بن عمرو: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (قد أفلَح من أسلَمَ، ورُزِق كَفَافاً، وقنَّعهُ الله بما أتاه)(١٣)، وعن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إنَّ الله لا يَظلِم مؤمناً حسنة، يُعطَى بها في الدنيا، ويُجزَى بها في الآخرة، وأمَّا الكافر فيُطعَم بحسناتِ ما عمِل به لله في الدنيا، حتَّى إذا أفضَى إلى الآخرة، لم تكن له حسنة يُجزَى بها)(١٤)، وهذه الأحاديث ظاهرة في ترجيح القول: بأن الحياة الطيبة في الدنيا؛ لأن قوله صلى الله عليه وسلم: (أفلح) يدل على ذلك؛ لأنَّ مَنْ نالَ الفلاح نالَ حياة طيبة، وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم: (يعطى بها في الدنيا)، يدل على ذلك أيضا، وقد تقرر في الأصول: أنَّه إذا دَارَ الكلامُ بين التوكيد والتأسيس رُجِّح حمله على التأسيس... فإذا علمت ذلك، فاعلم أنَّا إنْ حملنا الحياة الطيبة في الآية على الحياة الدنيا كان ذلك تأسيسا، وإنْ حملناها على

---

(١٠) سورة آل عمران: جزء من الآية ١٤٨.

(١١) سورة النحل: جزء من الآية ٣٠.

(١٢) سورة هود: جزء من الآية ٣.

(١٣) رواه مسلم في صحيحيه: كتاب الزكاة – باب: في الكفاف والقناعة – (٢/٧٣٠) – رقم: (١٠٥٤).

(١٤) رواه مسلم في صحيحه: كتاب صفة القيامة والجنة والنار – باب جزاء المؤمن بحسناته في الدنيا والآخرة وتعجيل حسنات الكافر في الدنيا – (٤/ ٢١٦٢) – رقم: (٢٨٠٨).

حياة الجنة تكرر ذلك مع قوله بعده: (ولنجزينهم أجرهم) الآية؛ لأن حياة الجنة الطيبة هي أجرهم الذي يجزونه"(١٥).

وأيضا فإن سياق الآيات كان حجَّة قويَّة، وبُرهاناً ساطعاً أمام أي محاولة لإثبات خِلاف هذا، وقد نصَّ على ذلك الإمام الطبري بقوله: "فالمتأمِّل يجد أنَّ الله تعالى توعَّد قوما قبل هذه الآية على معصيتهم إيَّاه إنْ عَصَوه أذاقَهم السُوء في الدنيا، والعذابَ في الآخرة، فقال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡ دَخَلَۢا بَيۡنَكُمۡ فَتَزِلَّ قَدَمُۢ بَعۡدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمۡ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾(١٦) فهذا لهم في الدنيا، ولهم في الآخرة عذاب عظيم، ثم أتبَع ذلك لِمَن أوفى بعَهد الله وأطاعَه فقال: ما عندكم – في الدنيا – ينفَد، وما عند الله باقٍ، فالذي توعَّد أهل المعاصي بإذاقتهم هذه السيئة بحكمته، أراد أن يَعقُب ذلك بالوعد لأهل طاعته بالإحسان في الدُّنيا، والغفران في الآخرة، وكذلك فعل تعالى ذِكره"(١٧).

ويقول الإمام مكي بن أبي طالب: "وقوله بعد ذلك: (ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) يدل على أن الحياة الطيبة في الدنيا هي؛ لأنه أخبر بما يَفعل بهم في الدنيا، ثم أعقبه بما يَفعل بهم في الآخرة، ومعناه: لنجزينهم أجرهم في الآخرة بأحسن عملهم في الدنيا لا بأسوئه"(١٨).

<u>وأما المخالفون</u> لما ذهب إليه أصحاب المعنى الأول فَهُم كما ذَكرَهُم الإمام أبو حيان: سعيد بن جبير، ومجاهد، والحسن البصري، وقتادة، وابن زيد(١٩)، **وهؤلاء قالوا بالمعنى الثاني وهو**: أنَّ الحياة الطيبة تكون في الآخرة بالجنَّة، وأنَّ قوله تعالى: (ولنجزينهم أجرهم) عطفٌ تفسيري على قوله تعالى: (فلنُحيينَّه)، وتأكيد له، ونظيره من القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَفۡتَرِي ٱلۡكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ﴾(٢٠).

---

(١٥) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشنقيطي (٢/ ٤٤١).

(١٦) سورة النحل: جزء من الآية ٩٤.

(١٧) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري (١٧/ ٢٩٢).

(١٨) الهداية إلى بلوغ النهاية لمكي بن أبي طالب (٦/ ٤٠٨٣).

(١٩) ينظر: البحر المحيط في التفسير لأبي حيان (٦/ ٥٩٢).

(٢٠) سورة النحل: الآية ١٠٥.

وقد تعرَّض العلامة الفخر الرازي لهذا الرأي بالإيضاح، فقال: "والقول بأنَّ هذه الحياة الطيبة لا تَحصُل إلا في الآخرة، الدليل عليه قوله تعالى: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ)[٢١]، فبيَّن أنَّ هذا الكَدْح باقٍ إلى أنْ يَصِل إلى ربه، وأمَّا بيانُ أنَّ الحياة الطيبة في الجنَّة؛ فلأنَّها حياةٌ بلا موتٍ وغنىً بلا فقرٍ، وصحةٌ بلا مرضٍ، وملكٌ بلا زوال، وسعادةٌ بلا شقاء، فثَبَت أنَّ الحياة الطيبة ليست إلا تلك الحياة"[٢٢].

وزاد الشيخ الشنقيطي في بيان ذلك بقوله: "فقال قوم: لا تَطِيب الحياة إلا في الجنة، فهذه الحياة الطيبة في الجنَّة؛ لأنَّ الحياة الدنيا لا تَخلُو من المصائب والأكْدَار، والأمراض والآلام والأحزان، ونحو ذلك، وقد قال تعالى: (وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ)[٢٣]، والمراد بالحيوان: الحياة، ويقول في حق العصاة: (يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي)؟[٢٤] أي: آخرتي"[٢٥].

ولقد عَرضتُ في الرأي الأول ما رَدَّ به الشيخ الشنقيطي على ما ذَهبَ إليه أصحاب هذا الرأي، وذلك بترجيح معنى الحياة الطيبة في الدنيا.

وبعد هذا العرض يتبين:

أولا: أنَّ الحياة الطيبة -في الآية الكريمة- تكونُ في الدُّنيا، كما ذَهب إلى ذلك أكثر المفسرين، وهي تشمل وجوهَ الراحة مِن أي جهة أو هيئة كانت، ولا مانع من أنّ المؤمن الكامل يُحصِّل جميع ذلك؛ لأنَّ مفهوم الحياة الطيِّبة مِنَ السَّعَة بحيث يشمل كل ما ذكروه، وهو مثال جيِّد على اختلاف التنوع في أقوال المفسرين، وهو مِن باب التنصيص على بعض أفراد العام، أي: كلُّ واحد من هذه الأقوال بيَّن جانبًا من الحياة الطيبة، وكل هذه الجوانب مُجتَمِعة هي الحياة الطيبة، وأنَّ كلَّ مَنْ وُفِّق لنعمةٍ من هذه النِّعم المذكورة فحياته تطيب بها.

---

(٢١) سورة الانشقاق: الآية ٦.

(٢٢) التفسير الكبير للفخر الرازي (٢٠/ ٢٦٨).

(٢٣) سورة العنكبوت: جزء من الآية ٦٤.

(٢٤) سورة الفجر: جزء من الآية ٢٤.

(٢٥) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشنقيطي (٢/ ٤٤٠).

ثانياً: أنَّه قد ظَهر لنا جليًّا قاعدتان في السِّياق اعتمد عليهما المفسرون فيما ذهبوا إليه وهما: "الأصل حمل اللفظ على تأسيس معنى جديد، إلا أن يدل السِّياق على التأكيد"(٢٦)، ولقد أشار الى هذه القاعدة الإمام مكي بقوله: "وحمل اللفظين على فائدتين ومعنيين أولَى مِن حملِهما على التَّكرير بمعنى واحد"(٢٧)، والقاعدة الثانية هي: "إدخالُ الكلام في معاني ما قَبلَه وما بعده أولَى من الخروج به عنهما إلا بدليل يجب التسليم له"(٢٨).

د/ أحمد محمدي إبراهيم العمروسي

mosab_ahmed20062007@hotmail.com

00201010722921

جمهورية مصر العربية

(٢٦) ينظر: المحصول للفخر الرازي (١/ ٢٥٩)، والإحكام في أصول الأحكام للآمدي (١/ ٢١٧)، والبحر المحيط في أصول الفقه للزركشي (١/ ١٩٣)، وقواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي (٢/٤٧٣).

(٢٧) الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ومعرفة أصوله واختلاف الناس فيه لمكي بن أبي طالب (ص ٢١٩).

(٢٨) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري (٦/ ٥٨٢)، والبحر المحيط في أصول الفقه للزركشي (٨/ ٥٤)، والتسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي (١/ ١٩)، وقواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي (١/١٢٥).